ايديولوجية الفداء

اتجاهات ونماذج

بقلم
أمير اسكندر

« أن الفدائي مصلح اجتماعي ، أن الفدائي يحمل السلاح تعبيرا عن انتفاضة الشعب ضد مضطهديه . أن الفدائي يقاتل في سبيل تغيير النظام الاجتماعي القائم الذي يخضع اخوته غير المسلحين للذل والفقر ... » (شي جيفارا)

« .. لن نضحك
اذا لم نضحك معا
لن نغني
اذا لم تئنه دموع العالم !.. » (متلاوس لاودمس)

« نحن بذور دفنت في باطن الارض يا بطرس .. ذلك هو جيلنا ، وهذا ما ندعوه أنفسنا . لن تنبت كلها ، ولن ترتفع كلها فوق الارض عندما يقبل الربيع . ولكن لا تظن اننا نخاف ذلك ، نحن نعرف هذا ونعيش بهذه المعرفة . ولسوف تفرش العناقيد الناضجة اعراشها فوق القبور التي تدوسها الاقدام ، ولسوف تنسى تلك القبور.. كل شيء سوف يصبح يوما نسيا منسيا : الجزع ، والحزن .. ولكن القطاف فقط سوف يقول لجيلك عنا ، الاحياء منا والاموات : خذ وكل لان هذا هو جسدي !.. » (جوليوس فوتشيك)

« الفداء » كلمة شاع استخدامها في عالم اليوم . وينذر ان نفتح صحيفة او مذياعا أو أية وسيلة اخرى من وسائل الاعلام ، دون أن نحس بهذه الكلمة تفرض نفسها فرضا على قاموسنا في الكتابة ، وتحتل مكانا بارزا في الوجدان المعاصر . وكيف يستطيع انسان هذا العصر ان يتجاهل المعارك الدامية التي تجري منذ سنوات في شعاب أمريكا اللاتينية ، وغابات افريقيا ، أو يغمض عينيه عن الملحمة البطولية التي يدور رحاها كل لحظة في فيتنام ؟

واذا كانت قوى الشر في العالم قد استطاعت لسنوات عدة ان تموه على الضمير الانساني ، وتلبس دولة عنصرية اقامها الامبرياليون قاعدة لهم ثوب الشرعية ، فأن ذلك الضمير الانساني قد بدأ يستفيق من جرعات الاكاذيب المكثفة ، والاضاليل الملفقة ، ويستشعر نوعا من الاحساس بالذنب ، او على الاقل لونا من ألوان الشعور بأن ثمة خطأ قاتلا يكمن في ذلك البناء الذي بناه ، او الذي بني يوما تحت سمعه وبصره ، دون أن يطرف له جفن او ترتفع له يد لتقول « لا » ، وكان من نتيجته مئات الشهداء ، وملايين من المشردين والضائعين ، وتكريس للاغتصاب والقهر والظلم !

وصحيح ان سقوط الاقنعة عن النيات التوسعية لدى حكام اسرائيل ، والنشاط الواسع للاجهزة الدبلوماسية العربية بعد وقوع النكسة ، والوقفة الثابتة للغالبية العظمى من الدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي (اننا نستثني هنا بالطبع من هذه الدول رومانيا نظرا لموقفها المتردد المشوب بالعطف على اسرائيل) ، فضلا عن الموقف المتفهم الواسع الافق الذي اتخذته فرنسا اخيرا ، صحيح ان هذا كله قد ساعد على افاقة الضمير الانساني من خدره ، او ربما كان هو في حد ذاته تعبيرا عن هذه الافاقة ، ولكن ينبغي ان يقال في غير قليل من الحسم ان وقفة الشعب الفلسطيني نفسه ، وصموده رغم المأساة ، ثم انطلاقه في العمل الفدائي متصاعدا بالمقاومة على طريق حرب التحرير الشعبية ، هو العامل الاول ، الذي استطاع ان يشد انظار العالم ، ويكسب عطف الشعوب ، ويجند خلفه الشرفاء في كل مكان !

« الفداء » هو الذي قدم المعادل الموضوعي للحق ، وهو الذي عمد القضية بالدم ..

« الفداء » هو الذي اضاف للمأساة ـ فضلا عن بعدها الانساني ـ بعدها الواقعي ، والسياسي ، والحضاري ..

« الفداء » هو الذي أعاد لكل تضحية جوهرها ، لكل شهادة مغزاها ، هو الذي أعاد الروح لكل مناضل أسلم روحه على خشبة الصليب ـ أي صليب ـ منذ دقت المسامير في أجساد رفاق سبارتاكوس ، واقيمت صلبانهم على الطريق الابيوس ، في روما القديمة .. حتى الآن ..

فما هي تلك القوة النفسية او الاخلاقية او الفكرية التي تكمن خلف العمل الفدائي ؟ واية دوافع تثير ثائرته وتحفز انطلاقه ؟ وما الذي يجعل المرء يختار هذا الطريق المحفوف بالمكاره والمخاطر ، ويقدم على القفز فوق الهوة التي تفتح اشداقها في كل لحظة ؟ أسئلة كثيرة ، تلح على أي متأمل في تلك النماذج الانسانية الرائعة التي عاشت في كل عصر ، وحملت على عاتقها مهمة الانتقال بالعالم من عصر الى عصر !

***

ومع ذلك ، ليس من الخير ان نسلك طريقنا الى تأمل تلك النماذج واستبطان أعماقها ، دون ان نتعرض لمدلول كلمة « الايديولوجية » التي شاعت هي أيضا في استعمالاتنا اليومية ، دون ان نتفق دائما على معناها المحدد ، خصوصا وان عنوان هذا المقال قد اختارته « الآداب » مسبقا ، ومن ثم لا بد من تحديد ما يعنيه استخدامه في هذا المجال ، فن تصوري على الاقل .

١ ـ ما من شك في ان الاصطلاح ما زال يثير كثيرا من اللبس ، وذلك لانه لم يستخدم منذ نشأته حتى الآن بمعنى واحد . فلقد كان الفلاسفة الفرنسيون يستخدمون هذا اللفظ في القرن الثامن عشر للتعبير عن المعرفة النفسية والفلسفية وتحقيق الافكار . ولقد اشار الفيلسوف « تراسي » « Iracy » الى هذا اللفظ عام ١٧٩٦ امام المجلس الوطني في فرنسا ، حين اقترح اطلاق كلمة ايديولوجية على الفلسفة العقلية .

٢ ـ ولقد اشار معجم اكسفورد الى ان الايديولوجية هي علم الآراء والافكار ، او هي ذلك الجزء من الفلسفة او علم النفس الذي يبحث في أصل وطبيعة الآراء والافكار والمعتقدات ، ولا يختلف هذا التعريف كثيرا عما ذهبت اليه موسوعة « كولبير » الامريكية من ان الايديولوجية هي العلم الذي يبحث الآراء والنظريات والمعتقدات التي تنشأ عن الافكار الاساسية التي تعتنقها جماعة معينة .

٣ ـ ولقد ذكر « هنري. د. أيكن » في كتابه « عصر الايديولوجية» ان ماركس وانجلز لا يقصران كلمة الايديولوجية على التعريف بالنظرية السياسية ، بل انها تتناول كذلك علم النظر الجدلي والاخلاق والدين واية صورة من صور الوعي التي يعبر من خلالها عن وجهات النظر الاساسية لمجتمع ما او لطبقة اجتماعية . (وهذا يختلف عن صورة الوعي عند الافراد ، لان هذه الصورة ـ فيما يرى ماركس وانجلز ـ انما

ـ التتمة على الصفحة ١٦٧ ـ

ايديولوجية الفـداء

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٢٩ ـ

هي عرضة للتغيير والتبديل مع كل تغير او تبدل يطرأ عـلى حياتهم المادية او تطورهم الاجتماعي) . والواقع ان المفهـوم الماركسي لكلمة الايديولوجية قد تطور كثيرا منذ ماركس حتى الآن ، بحيث انه يستخدم اليوم في الكتابات الماركسية بمعنى مختلف عما كان يعنيه ماركس نفسه من استخدامه . فلقد كان ماركس يقول فـي كتابـه « الايديولوجية الالمانية » : « في كل الايديولوجية يبدو لنا الناس وعلاقاتهم وكأنهم فـي وضع مقلوب ، رأسهم الى أسفل كما لـو كانوا فـي غرفة التصوير السوداء .. » ومعنى ذلك أن ماركس كان يتصور الايديولوجية كمقابل للتفكير العلمي ، ويرى في أفكاره وفلسفته تخطيا للاوهام التي تنبع من الايديولوجية ، ولقد استخدم هذا المعنى في كتابه ، في حديثه عـن الفلاسفة الذين كانوا اسرى تأثيرات لم يكونوا على وعي واضح بها ، اي أسرى لاوهام وأفكار وتصورات لا أساس لهـا فـي الواقع الموضوعي المستقل عن الذات . ولكن الكتاب والمفكرين الماركسيين طوروا هـذا المفهوم بعد ذلك بحيث اننا نجد مفكرا ماركسيا مثل كورنفورت يستخدم كلمة الايديولوجية للدلالة على النظرة المميزة لطبقة معينة فـي مرحلة تاريخية محددة ، بما في ذلك العناصر الوهمية والواقعية (أي الحقيقية او العلمية) . ونجد مفكرا ماركسيا آخر مثـل « يوليتيزر » يقول ان الايديولوجية هي « مجموعة الافكار التي تشكل كلا او نظرية أو مذهبا او حالة ذهنية في بعض الاحيان فحسب » . ثـم شاع اللفظ فـي الكتابات الماركسية بحيث اننا نكاد نقرأه في كل حديث عـن الافكار والاتجاهات والنظريات والمذاهب التي تعكس الوضع الخاص لطبقة مـن الطبقات في مرحلة ما من مراحل تطورها ، فنسمع « ايديولوجية الطبقة العاملة » ، و « الايديولوجية البورجوازيـة الثورية » (اشارة الـى البورجوازية كطبقة ثورية في ظل الصراع ضد الاقطاع) ، و«الايديولوجية البورجوازية الصغيرة » .. الخ ..

٤ ـ ولعل استخدامنا في كتاباتنا السيارة لهذا الاصطلاح يقصـد به « العقائدية » . والواقع ان العقائدية ليست مرادفا بحـال مـن الاحوال ـ اذا توخينا الدقة ـ لكلمة الايديولوجية . لان الايديولوجية اوسع بكثير من مجرد « الاعتقاد » ، وان كان الاعتقـاد يشكـل عنصرا بالطبع من عناصرها . واذا جاز لي في هذا الصدد ان أؤكد معنى مـن معاني الايديولوجية فانني أقول ان هذا المعنى يشير الـى الخصائص العقلية والفكرية والنفسية السائدة بين افراد طبقة ما في عصر معين او في مرحلة تاريخية بذاتها . وهذا المعنى يتضمن بداخله ـ بداهة ـ الجانب العقلي والفكري والنفسي المنعكس عـن الواقع الموضوعي ، والجانب الذي يتعلق بالوهم والتصور الذاتي الذي يدفع اليه في كـل عصر ـ حتى الآن ـ الايمان لدى البعض بالخرافات والاساطير والقضاء والقدر وقوى الغيب !

***

واذا كان الامر كذلك فما الذي نعنيـه بايديولوجية الفداء فـي هذا المقال ؟

ما من شك فـي أن العمليـة الفدائية هـي فـي النهاية محصلة لمجموعة من العوامل العقلية والفكرية والنفسية والايمانية . انها عمـل فردي ، من حيث ان الرجل الفدائي يختار بمحض ارادته ان ينخرط في السلك الفدائي دون ان تجبره قوة رسمية او سلطة من السلطات علـى ذلك . والاختيار ـ بصرف النظر عن كل النظريات الجدية ـ هو فـي التحليل الاخير فعل فردي . ولكن هذا المعنى قـد يحدث خلطا بيـن الفكرة « الفدائية » والفكرة « الارهابية » ، وبعبارة اخرى مـا الذي يميز الفدائي عن الارهابي ؟ الواقع ان القول بفردية العمـل الفدائي لا يعني مطلقا نفي جوهره « الجماعي » . فالعمل الفدائي عمـل منظم ، وليس عملا عشوائيا تلقائيا يندفع اليه الفرد بعيدا عن الجماعة وتحقيقا لفكرة خاصة به او لوهم مسيطر عليه .

العمل الفدائي عمل يرتبط بخطة جماعية تحددها جماعة معينة في لحظة ما كوسيلة لتحقيق هدفها . واذا كان الانخراط فـي سلك الفدائية « فعلا فرديا حرا » ، فالعمل في اطار الفدائية هـو « فعل جماعـي ملتزم » . واذا جاز لنا ان نقيم تشبيها بين الرجل الفدائي والرجـل الحزبي ، لربما اتضح ما نقصده في هذا الصدد ، فالرجل الحزبـي يمضي بمحض ارادته وينضم الى الحزب . وهو في الوقت نفسه قـادر في كل لحظة على ترك الحزب والتخلي عن مكانه فيه ، ولكنه مـا دام موجودا في اطار الحزب فهو ملتزم بخطته وسياسته ، بفكره وتطبيقه . وهكذا الحال بالنسبة للفدائي يمضي بقدميه مختارا صوب خط النار ، ولكنه حين يصل اليه لا بد له من الخضوع للمنطق الـذي يحكم الصف الواقف الى جواره ، والذي يشكل هو لبنة واحدة في بنائه .

ولكن قد يقال أيضا ان الارهابي رجل يندر ان يقف وحده فهـو ـ في الاغلب ـ جزء من جماعة صغيرة لها خطتها ولها تنظيمها ولهـا أيضا طقوسها . والواقع ان هذه النقطة تقودنا الى السمة الثالثة التـي يتصف بها العمل الفدائي ، وهي « الهدف العام التقدمي » الذي تتميز به الحركة الفدائية . فالحركة الفدائية هـي حركة تمضي نحو غايـة تاريخية محددة . وليست حركة تدور حول نفسها بلا هدف . انهـا وسيلة لتحقيق هدف مـا يعز تحقيقـه بالوسائل الاخرى السياسية والسلمية او عن طريق الجيوش النظامية . والجانب الاكبر مـن تاريخ الحركات الفدائية في العالم كان تحقيقا لهذا الهدف ـ كل منها فـي عصرها واطارها ـ ، ولنذكر مثلا الحركة الفدائية في جنوب افريقيا ابان حرب البوير ، والحركة الفدائية في الصين ابـان المسيرة الكبرى ، والحركة الفدائية في كوبا ، والحركة الفدائية فـي الاتحاد السوفياتي على اثر هزيمة الجيش في اول مراحل الهجوم النـازي ، والحركـة الفدائية في فيتنام .. وانجولا .. وجواتيمالا .. ثـم حركتنا الفدائية في فلسطين . ولقد كانت هذه الحركات كلها اتجاها نحو هدف جماعي تقدمي عام . حركات تستهدف بوسيلتها ما عجزت عنه ـ او مـا تعجز عنه ـ السياسة او الدبلوماسية او الجيوش النظامية التقليدية !

ومعنى ذلك ان العمل الفدائي ، هو فعل فردي حر فـي انطلاقته الاولى ، ولكنه عمل جماعي ملتزم منذ اللحظة التي ينضم فيها الفدائـي الى الحركة الفدائية ، وهذا ما يفرق بين العمـل الفدائي والمغامـرة الفردية ، وهو عمل منظم يرتبط بهدف تقدمي عام يحقق مصالح الغالبية من المجتمع او كل المجتمع في لحظة ما (لحظة اندلاع المشكلة الوطنية) وهذا ما يفرق بينه وبين الحركات الارهابية .

وفي ضوء التعريف الذي تقدم لكلمة الايديولوجية يمكننا ان نحدد ان العمل الفدائي لا ينتمي دائما الى ايديولوجية واحدة !

فحركة سبارتاكوس مثلا كانت في جوهرها حركة فدائية ، وحركـة الدفاع عن المسيحية في عصر الشهداء كانت حركة فدائية ، (وفكـرة الفداء في حد ذاتها ركن هام من اركان المسيحية) ، والحركة التـي قامت في بداية الاسلام على يدي ابي بكر الصديق ، وعلي بـن ابـي طالب ، ثم على يدي « الخوارج » بعد ذلك فـي عهد الدولة الاموية وصدر الدولة العباسية ، كانت أيضا حركة فدائية . ثم هناك الحركات الفدائية التي تدور داخل الاطار الوطني وفيها نستطيع ان ندرج كـل الحركات التي تمت ابان عمليات الاحتلال النازي في اوروبا ، والاحتلال الاستعماري في دول الشرق ، والاحتلال الصهيوني لفلسطين ، ويمكننـا ان نذكر كذلك الحركات الفدائية التي دارت في اطار الصراعات الطبقية والحروب الاهلية وتحتها تندرج الحركات التـي تمت في الاتحـاد السوفياتي والصين وتشيكوسلوفاكيا ، وهنـاك حالات يندمج فيهـا الهدف الوطني مع الهدف الطبقي وتختصر المراحل التاريخية وتتركـز المعارك في معركة وطنية ضد المحتل الخارجي وضد أنصاره او عملائه في الداخل مستهدفة طرد المحتل واقامة نظام اشتراكي فـي الوقت نفسه

كما هو الحال في فيتنام على سبيل المثال ، وهناك أيضا حركات فدائية لا تنطلق من قاعدة طبقية داخل الوطن القومي وحده ، بل من قاعدة طبقية على نطاق العالم وهي ما تعرف في القاموس السياسي باسم الاممية ، ولعل ابرز مثال على ذلك هو « الكتيبة الاممية » او « اللواء الدولي » الذي شارك في الحرب الاسبانية ضد الفرنكويين مساندا ومؤازرا للانصار من الجمهوريين ..

هناك اذن دوافع متعددة ، او بتعبير أدق ، خلفيات ايديولوجية متنوعة خلف العمل الفدائي ، نستطيع أن نميز فيها اربعة اتجاهات رئيسية : ١ ـ الاتجاه الديني ، ٢ ـ الاتجاه الوطني ، ٣ ـ الاتجاه الاشتراكي ، ٤ ـ الاتجاه الاممي .

وما من شك في ان هذه الاتجاهات الاربعة في ايديولوجية الفداء تشترك معا في بعض السمات ، ويتميز كل منها بطبيعة الحال بسمات أخرى محددة . ولعل السمات المشتركة هي الصفات « الاخلاقية » التي تنطوي عليها شخصية الرجل الفدائي ، مثل التضحية ، وانكار الذات ، والاخلاص للمبدأ ، والالتزام بالهدف العام ، وعدم الرهبة من ملاقاة الموت (وهذا يختلف عن عدم الحرص على الحياة !) ، فضلا عن الامل والتفاؤل والايمان ـ شبه الديني أحيانا ـ بحتمية النصر .

***

اما السمات الخاصة لكل اتجاه فهي تدعونا الى الحديث عن كل واحد منها على حدة ...

١ ـ الاتجاه الديني

ما من شك في ان فكرة الفداء ـ كما تقدم ـ تمثل ركنا هاما من اركان الفلسفة المسيحية . ولقد كان « المسيح » نفسه رمزا وتجسيدا لهذه الفكرة ، لانه ـ في اطار اللاهوت المسيحي ـ هو الذي افتدى البشر جميعا بنفسه ، وقدم حياته فوق الصليب ثمنا لخلاصهم . وهذه الفكرة ترتبط بالطبع بفكرة اخرى تمثل ركنا آخر من اركان الفلسفة المسيحية وهي فكرة الخطيئة . ولعل هذين الركنين هما اللذان يمثلان القطبين الاساسيين في الفكر المسيحي كله ، او كما كان يقول « بسكال » في « الخواطر » : « هذه هي العقيدة المسيحية : وفيها شقان : الانسان الاول والخطيئة ثم الانسان الجديد والفداء . آدم والمسيح . وفي هذين الشقين ، الدين المسيحي كله » .

ولقد تعرضت المسيحية شأن الدعوات الجديدة دائما في منشأ ظهورها لحركات عنيفة من القهر والاضطهاد على أيدي الرومان . واصبح هناك ما يسمى بعصر الشهداء ، وهو أحد الفصول الهامة في تاريخ انتشار المسيحية . والكنيسة القبطية في مصر تؤرخ لشهدائها تبعا لحركات الاضطهاد التي أصابتهم ، ويتفق معظم المؤرخين على انها عشر ، بدأت بالاضطهاد الذي وقع على مسيحيي الاسكندرية في عهد نيرون « الملك الدموي » من سنة ٦٥ الى سنة ٦٨ ميلادية ، عندما اختطف الرومانيون مرقص الرسول من كنيسة بوكاليا بالاسكندرية ، وهجم الدهماء على المسيحيين الذين تقبلوا الدين الجديد واغرقوهم في سيل من الدم . وكان أول دم اريق على ارض مصر هو دم مرقص الرسول في ٢٦ ابريل سنة ٦٨ ميلادية ، ودفنت رفاته في الكنيسة التي انشأها بالاسكندرية ، ثم نقل جسده فيما بعد الى مدينة البندقية . واستحق مرقص الرسول لقب أول فدائي مسيحي واجه الامبراطورية الرومانية .

ولقد تعددت الاضطهادات بعد ذلك في القرون الثلاثة الاولى حتى بدايات القرن الرابع حيث وصلت عمليات القمع والقهر ذروتها على يدي ديو قلديانوس (٢٨٤ ـ ٣٠٥) م. ، حين اصدر هذا الحاكم امرا بهدم الكنائس، وحرق الكتب المسيحية ، وراح يلقي القبض على الاساقفة ويعمل فيهم ذبحا وتقتيلا حتى غرقت البلاد في طوفان من الدم . وظل الحال هكذا حتى قرر « قسطنطين » الاعتراف بالدين المسيحي في الامبراطورية الرومانية . ووقع في عام ٣١٣ مرسوم ميلان الذي يبيح حرية المعتقد الديني .

وكان لا بد لاعمال الاضطهاد هذه ان تولد رد فعل قويا وسط معتنقي الديانة الجديدة . وردود الفعل هذه هي التي يمكننا ان نطلق عليها في شيء يسير من التجوز حركات فدائية ، على الرغم من أنها لم تحمل السلاح قط ، وكانت في جوهرها حركات سلبية ، وهو ما يتفق مع منطق المسيحية الخاص ، ويتلاءم مع مفهومها عن الفداء . ان قصص كفاح الاساقفة ضد الاباطرة الرومان ، وقصص بناء الكنائس السرية ، وصمود المؤمنين من المواطنين العاديين أمام الموجات الرهيبة من القهر والقمع والارهاب ، قصص معروفة لا نحس بالحاجة الى الخوض فيها هنا . ولكنا مع ذلك نلاحظ ملاحظتين :

الاولى : ان هذه الحركات لم تكن خاضعة لشكل من أشكال التنظيم الواعي ، بل كانت في معظمها حركات تلقائية ـ حتى وان اتخذت صورة جماعية ـ ، أقرب الى رد الفعل منها الى العمل المنظم الهادف .

والثانية : ان « الفدائي المسيحي » الذي كان يسترخص حياته في سبيل عقيدته ، كان على يقين كامل من ان مكانا قد أعد له مسبقا « في ملكوت السموات » . ولم تكن القضية بالنسبة اليه هي نشر العقيدة ، ولكن الثبات على الايمان ، واثبات انه مستحق للجلوس بين يدي الهه . (وان كانت مواقف هؤلاء الشهداء قد عملت بالطبع على نشر العقيدة في ربوع الامبراطورية الرومانية كلها) .

اما الاسلام فلقد كان تصوره لفكرة الفداء تصورا ايجابيا . ولقد تضمن القرآن آيات كثيرة تحض على الفداء ، وتدفع الى البذل والتضحية .

« فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما ، وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والوالدين الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ، واجعل لنا من لدنك وليا ، واجعل لنا من لدنك نصيرا ، الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ، فقاتلوا اولياء الشيطان ، ان كيد الشيطان كان ضعيفا » . « من سورة النساء » .

وفي سورة « التوبة » ترد هذه الآيات :

« ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم .. »

وواضح ان فكرة الفداء في الاسلام شأنها في المسيحية تتضمن فكرة الجزاء في الآخرة ، ووعد الجنة . وفي سورة آل عمران آيات صريحة تدل على ذلك : (فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم ، واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ، ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله ، والله عنده حسن الثواب .)

ولقد عرف الاسلام قصص الفدائيين منذ نشأته الاولى . ولعل قصة ابراهيم وولده اسماعيل من أوائل القصص التي تحدثت عن الفداء . ولعل قصة الامام علي بن أبي طالب ، في موقفه الفدائي الكبير ، حين نام مكان الرسول في ليلة الهجرة ، وهو على يقين من ان الرسول هدف للمناوئين له من اعداء الدين الجديد ، قصة معروفة ومشهورة لا تحتاج لمزيد شرح او ايضاح .

وعلى الرغم من ان « فرقة الخوارج » لهم آراء موضع اخذ وعطاء وشد وجذب حتى الآن ، فان تاريخهم كفرقة متشددة في العبادة ، مخلصة لما تؤمن به ، لا يصيبها وهن او تردد في خوض المعارك من أجل ما تتصور انه الحق ، معروف ومشهور في تاريخ الحركات الدينية الاسلامية ، على الاخص مقاومتهم الفدائية في زمن الدولة الاموية ، وفي صدر الدولة العباسية . ولعل شاعرهم الكبير « قطري بن الفجاءة » ، بل وزوجته « أم حكيم » كانا من اشجع الفرسان في مسيرة « الخوارج » الفدائية .

ما الذي تؤدي اليه هذه الاقوال جميعا ؟

انها تؤدي الى ان الاتجاه الديني في ايديولوجية الفداء يقوم على أساس فكرة « الجزاء » الديني في العالم الآخر . انه نوع من دفع الثمن مقدما لمكان في الجنة . نوع من المقايضة او المبادلة للحياة الآخرة بالحياة الدنيا . وهذا الاتجاه ينهض على أساس من «الايمان الوجداني» الراسخ والعميق ، المتعلق بعالم آخر ، المؤمن بأن الحياة جسر بين اللاوجود والوجود الاكمل والاشمل في رحاب الله .

٢ ـ الاتجاه الوطني

ذات يوم تساءل جيفارا قائلا : من هو الفدائي ؟ وأجاب قائلا :

« الفدائي في حرب العصابات هو مقاتل ممتاز مصطفى من الشعب ، ومناضل طليعي على رأس المعركة في سبيل التحرر .. از حرب العصابات ، خلافا للاعتقاد السائد ، ليست حربا صغيرة محدودة، حربا تقوم بها تجمعات من الاقلية ضد جيش قوي . كلا ، فهي حرب الشعب بأسره ضد الاضطهاد السائد .

« الفدائي مصلح اجتماعي .. الفدائي يحمل السلاح تعبيرا عن انتفاضة الشعب ضد مضطهديه ..

« الفدائي يقاتل في سبيل تغيير النظام الاجتماعي القائم الذي يخضع اخوته غير المسلحين للذل والفقر ، ويناضل ضد الاوضاع الاجتماعية الخاصة للدولة في الوقت المقرر .. الفدائي هو الذي صمم على الاطاحة بنظام الاضطهاد بكل الطاقات التي تتيحها له الظروف ..»

ومنذ اقدم عصور التاريخ عرفت الانسانية ذلك اللون الخالد من الفداء ، الفداء في سبيل التراب الوطني . ان التعلق بالارض الوطنية جزء لا يتجزأ من التركيب النفسي لكل انسان . شيء ما كالغريزة ، او كالتنفس او كالنبض . لا حياة للكائن الانساني بدون ان تمارس تلك الوظائف عملها .

ولقد اجتازت شعوب كثيرة في الارض برزخ الآلام هذا في سبيل الدفاع عن حريتها واستقلالها ضد مغتصبيها . يتساوى في ذلك شعب صغير كشعب فيتنام وشعب كبير ، كشعب ـ او كشعوب ـ الاتحاد السوفياتي . ولقد احتفظت الذاكرة القومية لكل شعب بقصص كثيرة في ملحمة الدفاع عن الارض . وقصص فيتنام معروفة لقارىء اليوم ، تطالعه بها الصحف والاذاعات كل صباح ومساء . وقصة المقاومة الفلسطينية الرائعة ، تتعلق بها ابصارنا ، وتنعقد عليها آمالنا في كل لحظة من أجل تحرير ارضنا المحتلة !

ماذا نتذكر من نماذج هذا الاتجاه اذن ؟ قصة المقاومة الفرنسية ضد الاحتلال النازي ، تلك القصة الخالدة التي احتلت مكانا واسعا في تاريخ الادب الفرنسي بل وفي تاريخ الشخصية الفرنسية كلها . ان صوت « جيريل بيري » ما زال يدوي رغم مرور السنين .. حين اقتاده جنود النازي لينفذوا فيه حكم الاعدام . خلع « بيري » العصابة من فوق عينيه وحدق في الجلادين بملء الثقة التي يحملها في قلبه بحتمية النصر . وقال « انني اموت من أجل الغد .. وايامه الحافلة بالاغنيات » !

أنذكر اشعار ايلوار واراجون وقصص سارتر وسيمون دي بوفوار والسا تريوليه ورسوم بيكاسو ؟.. ونعيد تصفح تلك الروائع التي الهمتها المقاومة روحها ، وغذت هي نفسها المقاومة بوقودها ، وقادت معركة الفداء في وجه الاحتلال والخيانة حتى تحررت باريس وتطهرت ؟

انذكر قصة المقاومة البطولية الباسلة خلف الخطوط ، وسط اطباق الثلوج المتكاثفة ، عبر السهوب التي تطبق عليها قوات النازي من كل صوب ، وعمال ستالينجراد ، والفلاحين الموجيك ، يدفعون ضريبة الدم من أجل الحفاظ على « الوطن » الاشتراكي الاول ؟

أنذكر قصة « فابتزاروف » شاعر بلغاريا العظيم ، الذي رفع رأسه في وجه الجلادين دون ان يطرق له جفن قائلا : « لقد ناضلت في سبيل سعادة وطني وشعبي فاذا كان علي ان اعاقب لاجل ذلك فانا مستعد لتلقي جزائي ! » وعندما تلي حكم الاعدام واقتيد الى المقصلة ، لم يضعف ولم يتردد ولم تفر من عينيه دمعة بل غنى مع رفاقه : « من يسقط في معركة الحرية .. لا يموت أبدا .. لا يستطيع ان يموت ..!»

ألم يقل هو نفسه ان « المعركة ضارية حقود » ؟

« لقد سقطت . وسيحتل آخر مكاني .

وهذا كل شيء .

ماذا يهم هنا اسم الشخص !

سأرمي بالرصاص ، ثم .. الدود !

كل هذا بسيط ، منطقي .

ولكن في العاصفة

سنكون دوما معك

يا شعبي

ذلك لاننا أحببناك ! »

ولكن هؤلاء جميعا ، شعراء وكتابا ، لديهم الوعي والثقافة وبصيرة التاريخ . والتزامهم قد يكون ـ فضلا عن مصادره في الغريزة الوطنية العامة ـ نابعا من ادراكهم للمصير التاريخي وللمسيرة الاجتماعية المتقدمة دائما رغم كل المعوقات . ومع ذلك فان صوت الرجل العادي لا يقل عن ذلك قوة ولا صمودا ولا ايمانا .

هوذا فلاح مصري من احدى قرى « الغربية » .. اسمه « يوسف ابو ديه » ، واحد من الذين ساروا خلف عرابي ، وتعلقوا بالامل في النصر على الانجليز ، وصمدوا على انكسار الثورة عندما تألبت عليها سطوة الاحتلال وخيانة الخديوي وتردد كبار ملاك الارض . عندما اقتادوه الى المقصلة سأله حاكم الغربية :

ـ ماذا تريد لنحضره لك قبل ان تموت ؟

قال يوسف في كبرياء تاريخي عريق :

ـ ماذا أريد ؟ أريد لمصر الاستقلال . اي شيء يرضيني وقد قطعتم آمالنا .. لكن اليوم لكم وغدا لنا .. » !

الا نسمع في صوته نبرات جيريل بيري ؟ الا يتردد في سمعنا صوت فابتزاروف ؟ الا يعيد الى وجداننا من جديد العاطفة نفسها والشعور الذي يخالجنا ونحن نتذكر كل الابطال الوطنيين الذين سقطوا في كل مكان .. وفي أي مكان .. من رحاب الارض ؟ انه فلاح بسيط ، ولكنه يلخص بموقفه معالم الغريزة الوطنية كلها ، ويبلور البصيرة التاريخية التلقائية ، في اعماق كل مواطن شريف !

واذا كان لنا ان نحدد السمات الخاصة لهذا الاتجاه الوطني في أيديولوجية الفداء ، فاننا نستطيع أن نميز فيه هذه السمات .

١ ـ انه اتجاه يستطيع ان يجمع كل عناصر الامة ضد العدو الواحد المشترك . وهو يضم في اهابه اتجاهات قد تبدو متنافرة اذا نظرنا اليها من الزاوية الاجتماعية الخالصة . اننا نلمح هنا في هذا الاطار الوطني : الرأسمالي الوطني ، الى جانب العامل والفلاح معا . اننا نلمح المثقف الى جانب من لا يستطيع ان يكتب او يقرأ . اننا نلمح المناضل الذي يحلم بمكان في الجنة والاستشهاد في سبيل الله ، والمناضل الذي يبحث عن الخلود في ضمير الامة ، والمناضل الذي يحفر له اسما في ذاكرة الاجيال القادمة !

٢ ـ على الرغم من وضوح الهدف في المعركة الوطنية ، وتبلور الدوافع النفسية في أعماق الفدائي الوطني ، فان « الاندفاع الوطني » هو في كثير من الاحيان عمل تلقائي غريزي ينبع من الطبقات العميقة المترسبة في اعماق النفس الانسانية ، او ـ اذا شئنا تعبيرا اكثر دقة ـ فان الجانب العاطفي فيه أغلب من الجانب العقلي المجرد . (وهو امر لا يقلل من حقيقة ان المواقف الانسانية عامة انعكاس لمواقف ايديولوجية محددة . بمعنى ان الرأسمالي الوطني مثلا في نضاله ضد الاستعمار يبحث عن الاستئثار بالسوق ، والاشتراكي في نضاله ضد الاستعمار يبحث عن انجاز الثورة الديموقراطية الوطنية على طريق الثورة الاشتراكية !)

٣ ـ اذا جاز لنا ان نفرق بين الاتجاه الديني ، والاتجاه الوطني في ايديولوجية الفداء ، فاننا نقول أن الاتجاه الاول يتعلق بالعلة « الغائية » اما الاتجاه الثاني فانه اقرب الى العلة « الفاعلة » . ان

المحرك الاكبر للايديولوجية الدينية هـو « الجزاء » الـذي يتحصل للمستشهد في سبيل الله ثوابا في الجنة . ومن ثم فهو محرك فردي تحفزه المنفعة الخاصة « المؤجلة » ، وتثيره الاعتبارات التي تدور حول الربح والخسارة تبعا لتصوراته الفكرية والميتافيزيقية . امـا الاتجاه الآخر ، فانه انعكاس للشعور بالحياة ذاتها ، والعمل على حمايتها ، انـه قوة محركة تؤثر في الكائن الانساني بصرف النظر عـن الغاية الفردية التي قد تتحقق او لا تتحقق . ان العامل الذي يقف في خط النـار لا يعي تماما الارباح التـي سوف تعود عليه مـن طرد الاستعمار وجنود الاحتلال ، بل قد يحتل الرأسماليون الوطنيون مكان القوى الاستعمارية الراحلة ، ويظل هو نفسه خاضعا للاستغلال كمـا كان مهمـا تغيرت أساليبه أو تعددت شخصيات القائمين به ! والامر نفسه ينطبق علـى الفلاح الذي قد لا تهبه وقفته ضد المستعمرين الارض التي يزرعها ! ان في الكائن الانساني غريزة للدفاع عن الحياة ، للدفاع عن الارض بصرف النظر عن حساب الربح والخسارة ، ان « الضرورة » تصبح فعـلا ، وعملا ، وسلوكا . ان قانون الحياة يحقق نفسه من خلال هذا المبـدأ الوطني الغريزي ، الواقعي ، الذي لا ينبع من ايـة قوة متعالية ، ولا يشتق من أي مصدر فوق الطبيعة !

٣ ـ الاتجاه الاشتراكي

والحق ان الاتجاه الاشتراكي في ايديولوجية الفـداء ، يتضمـن بداخله الاتجاه الوطني ، ولكنه يعلو عليه !. فالرجل الاشتراكي هو اولا وقبل كل شيء رجل وطني. ولكن وطنيته لا تقتصر على مفهوم الدفاع عن الارض فحسب ، ولكنها تنطوي على مفهوم ارحب واعمق حـول تغيير الارض نفسها . ان الاشتراكية اعلى درجة مـن درجـات الوطنية . والاشتراكيون كانوا دائما ـ وما زالوا ـ كتيبة الصدام فـي العمـل الفدائي الوطني . ان اروع اعمال المقاومة الفدائية الفرنسيـة ابـان الاحتلال النازي قام بها الفدائيون الاشتراكيون . واعظم البطولات التي خلدتها ملحمة ستالينجراد لم تكن مجرد دفاع عـن الارض فحسب ، ولكنها كانت في جوهرها دفاعـا عـن الكيان الاشتراكي فوق الارض السوفياتية . ماذا اقول ؟ ان اليومين الخالدين اللذين عاشتهما القاهرة بعد هزيمة يونيو وانكسار الجيش المصري في سيناء ، يومـي ٩ ، ١٠ يونيو لم يكونا مجرد تعبير عـن السخط والضيق والاسى للهزيمـة والانكسار ، ولم يكونا استعدادا للبذل والتضحية في سبيل الدفاع عـن الارض المحتلة في كل وطن عربي ، ولكنهما ايضا كانا في اعماقهما تعبيرا عن الوقفة الصامدة في الدفاع عن المكاسب الاشتراكية التـي حققها العمال والفلاحون المصريون .. وجزعا من ضياع هذه المكاسب اذا مـا اصاب النظام في مصر ما تمناه لـه الامبرياليون والصهيونيون مـن هزيمة وانكسار !

ها هنا تتوحد العلة الغائية بالعلة الفاعلة !

العلة الغائية التي لا تتعلق هنا بهدف بعيد المنال في عالم آخـر ، ولكن بهدف محدد يمكن ان ينال فوق هذه الارض . العلة الغائية التي لا تدور حول جزاء فردي حتى ولو كان الخلود في الجنة ، بـل بجزاء جماعي يحقق الفردوس الممكن للكل . وباتحـاد هاتين العلتين يتحقق المركب المفتقد في الاتجاهين السابقين ، وتبلغ التضحية ذروتها ، ويصل الفداء الى قمته .

والنماذج التي يمكن ان نضربها على هذا الاتجاه كثيرة . ولعـل البطولات التي يقدمها الفدائيون في فيتنام هي الخبز اليومي لكـل مناضل لا يؤمن بضرورة تغيير العالم فحسب ، بل يؤمن بأن القضاء على الاستعمار الامريكي هو الطريق لتغيير العالم !

ومع ذلك ، ينبغي ان نذكر هنا ان الفدائي الذي يؤمن او يعتنـق الايديولوجية الاشتراكية انسان يعمل من أجل اللحظة المقبلة اكثر ممـا يعمل للحظة الراهنة . انه رسول الاجيال المقبلة اكثر مما هو تجسيد لمكاسب الاجيال الحاضرة . صحيح أن الاشتراكية ، بمجرد قيام سلطتها، تغير النظام الاستغلالي السابق وتضع الاسس لاقامة نظام جديد . ولكن الجيل الذي يدفع الثمن لاقامة الاشتراكية هو ـ على الاغلب ـ اقـل الاجيال استمتاعا بثمارها . انني اذكر هنا تلـك الكلمات الرائعـة ، الحزينة ، المجيدة ، التي كتبها « جوليوس فوتشيلو » ذات يوم حيـن كان يمارس نضاله البطولي ضد الاحتلال النازي في بلاده ، وضد القوى المستغلة لشعبه في الوقت نفسه :

« نحن بذور دفنت في باطن الارض يا بطرس .. ذلك هو جيلنا ، وهذا ما ندعوه انفسنا .. ليست كلها سوف تنبت ، وليست كلهـا سوف ترتفع فوق الارض عندما يقبل الربيع .. ولكن لا تظن اننا نخاف ذلك . نحن نعرف هذا ونعيش بهذه المعرفة . لسوف تفرش العناقيـد الناضجة اعراشها فوق القبور التي تدوسها الاقدام ، ولسوف تنسى تلك القبور . كل شيء سوف يصبح يوما نسيا منسيا . الجـزع . والحزن . القطاف فقط ، سوف يقول لجيلك عنـا ، الاحياء منـا والاموات : خذ وكل .. لان هذا هو جسدي !.. »

وليس أروع من هذه الكلمات تعبيرا عن الجيل الفادي .. الجيـل الذي يزرع دائما ليحصد الآتون من بعده !

وليس اروع من كلماته لقضاته ايضا ، حينما حكموا عليه بالموت ، تعبيرا عن جيل الفداء كله ..

« ان حكمكم سوف يتلى الآن . اني اعرفه . انه يقضي بالموت على انسان !

ولكن حكمي عليكم قد صدر منذ بعيد . انه مكتوب بدم كل شرفاء العالم : الموت للفاشية !

الموت لعبوديـة الرأسمالية ! الحيـاة للانسان ! المستقبـل للاشتراكية ! ... »

٤ ـ الاتجاه الاممي

واذا كان الاتجاه الوطني تعبيرا عن اندفاع العلة الفاعلة ، والاتجاه الاشتراكي تعبيرا عن المركب الناجم عـن اتحـاد العلة الغائية بالعلـة

مؤسسة نوفل للطباعة والنشر

و

((بيت الحكمـة))

يقدمـان

الحرب العالمية الثانيـة

للمؤرخ والصحفي الشهير

ريمـون كارتييه

(في جزئين)

صدر حديثا

الفاعلة ، فان الاتجاه الاممي هو امتداد لذلك الاتجاه الاشتراكي على نطاق العالم كله ، لا على النطاق القومي فحسب . ان الاتجاه الاممي ينطوي على أعلى درجة من درجات وحدة الفكر والعمل . انه الشعور بوحدة الكائن ، ووحدة الحياة ، ووحدة المصير الانساني . ان من لا يلائم بين فكره وعمله سوف يسقط في هوة التمزق الداخلي ، والنضال مع النفس .

لنستمع الى « كريستوفر كودويل » المفكر الانجليزي يقول عشية الحرب الاسبانية ، بين الجمهوريين واعداء الديموقراطية ، وهو يتخذ أهبته للرحيل الى هناك :

« انك تعرف مبلغ احساسي بأهمية الحرية الديموقراطية .. ان الجيش الشعبي الاسباني أشد ما يكون حاجة الى المساعدة ، ذلك لان كفاحهم اذا ما مني بالخيبة والفشل سوف يكون بالتأكيد كفاحنا في الغد . وما دام النظر والعمل كلا واحدا في أعتقادي ، فانه ليبدو واضحا ، أين يدعوني واجبي . » !

فلماذا يسير شاب في التاسعة والعشرين من عمره ، الى حتفه ، في وطن غير وطنه ؟ اية قوة تدفعه الى هجران حياته ووضعه ومستقبله وعالمه كله .. الا ان تكون الفكرة التي يؤمن بها ، قد تمشت في وجوده كله ، بحيث أصبح من المستحيل عليه ان يفصلها عن وجوده نفسه ؟

ومع ذلك فلم يكن هناك كودويل وحده . لقد هب احرار العالم يدافعون عن الحرية الديمقراطية وهي تستشهد على أرض اسبانيا . وتكوّن اللواء الدولي الذي ضم متطوعين من اثنتي عشرة جنسية جاءوا من كل الاطراف القصية .. منهم ضابط يوغوسلافي سيلعب فيما بعد دورا ذا شأن خطير في بلاده ، اسمه « جوزيب بروز تيتو » ، ومنهم ايلوار ، واراجون ، وفوكس ، وجيست ، وفوتشيك ، وفايست ، وبيكاسو ، ولوركا .. فلقد كانت « اسبانيا في القلب » حقا كما قال ذلك في ديوانه « بابلو نيرودا » .

وما الذي اتى بكل هؤلاء الشعراء والكتاب والمفكرين جميعا ؟ لقد كانوا كلهم يدينون بمنهج واحد في الفكر والحياة ، وشعار واحد للفكر والحياة : لقد دأب المفكرون حتى الآن على تفسير العالم ، ولقد آن الآوان لتغييره !

وفاضت طرقات اسبانيا يومها بطوفان من الدماء . وسقط على الارض المثخنة الحزينة : رالف فوكس ، وديفيد جيست ، ولوركا ، .. وكودويل ايضا . مات كودويل وهو يحمي انسحابا لثلاثة من رفاقه ، وقد كانوا جميعا ، وهو معهم ، يحرسون موقعا على قمة احد التلال في وادي جاراما !

وقد يكون الطريق بين لندن حيث كان يعيش ، ووادي جاراما ، طويلا في حساب المسافات .. ولكنه كان طريقا قصيرا للغاية في حساب من يؤمن بأن الفكر والتطبيق شيء واحد ، وان الواجب يكمن هناك ، حيث وحدة النظر والعمل ، وحيث الحاجة اليه أشد !

وما من شك في ان كودويل ورفاقه في « الكتيبة الاممية » من الكتاب والفنانين والمفكرين ، هم وحدهم الذين عرفناهم ، او امكننا ان نعرفهم ، وسط ذلك « الالبوم » الضخم الذي يضم صورا لابطال مجهولين من بسطاء الناس الذين عاشوا في الظل ، وماتوا في الظل أيضا . ولكنه ـ على أي حال ـ يمثل رمزا لهم جميعا ، ويعبر بدمه عن أيديولوجية ذلك الطابور الطويل ، الذي رسم تلك اللوحة المشرقة ـ رغم اطارها الحزين ـ لوحدة المصير الانساني .

***

واذا كنا نخوض اليوم معركة من اروع معارك الفداء في التاريخ المعاصر ، وسط عالم ما زال جانبه المعادي ـ رغم كل شيء ـ أرجح كفة من جانبه المعضد والمساند ..

واذا كنا نؤمن بأن وقفة الشعب الفلسطيني نفسه ، وصموده رغم المأساة ، وتصاعده على طريق النضال نحو حرب التحرير الشعبية ، هو وحده القادر على ان يقيم سدا في وجه الطوفان ..

فلنتذكر اذن ـ مرة اخرى ـ أن « الفداء » ، مهما كانت نماذجه أو اتجاهاته ، هو وحده الذي يقدم المعادل الموضوعي للحق ، وهو وحده الذي يضيف لمأساتنا ـ فضلا عن بعدها الانساني ـ بعدها الواقعي والسياسي والحضاري ..

ولنتذكر اخيرا ـ ولكن دائما ـ ان العمل الفدائي ، هو العمل الوحيد الذي يستطيع ان يحول بحق ، دون ان يمتد طريق الصلبان .. الى ما لا نهاية !

القاهرة

امير اسكندر

الوجه الآخر لأميركا ...

الفقر في الولايات المتحدة

بقلم ميكايل هارنفتون

ترجمة ادوار الخراط

ليس « الوجه الآخر لاميركا » رحلة عاطفية يقوم بها في احياء « ولفير ستيت » كاتب اميركي غاضب امام الخمسين مليونا من الفقراء المنسيين المنبوذين . بل ان « ميكايل هارنفتون » يعلن غضبه وثورته بصفته عالما اجتماعيا واقتصاديا . ان الفقر في الولايات المتحدة كتلة ، دولة ضمن الدولة ، نظام خلقه نظام. وليس فيه ما يشبه البؤس الاسيوي الذي يعتبر القضاء عليه هدفا قوميا لانه نصيب الاكثرية . ولكن هل يستطيع الاميركيون الذين ينعم ثلاثة ارباعهم باعلى مستوى للحياة في العالم ان يتحملوا وقتا طويلا مشهد هذا الفقر الذي لا مثيل له ، وهؤلاء الفقراء (الخمسين مليونا) الذين لم يعرف التاريخ اعجب منهم ؟

والمؤلف يبرهن ، كما يقول كاتب المقدمة كلود روا ، ان كون الانسان فقيرا لا يعني انه يملك مالا اقل من غيره ، بل ان القلة لديه في كل شيء ، في الذكاء ، في الصحة المعنوية والبدنية ، في الروح الاجتماعية . « ان الفقر لا يعني ان الانسان يملك اقل ، بل يعني ايضا انه يعيش اقل ! » .

منشورات دار الآداب

صدر حديثا